إيران في الستراتيجيتين الروسية والسوفيتية
دراسة تاريخية في ضوء المصادر الإيرانية

م.د. عصام كاظم عبدالرضا (*)
Dr. Isam Kadim Abdul Ridha

كلية التربية – الجامعة المستنصرية

الخلاصة :

يهدف هذا البحث الى دراسة وتحليل موقع إيران في الستراتيجيتين الروسية القيصرية والسوفيتية خلال المدة من عام 1900 حتى نهاية الحرب العالمية الثانية عام 1945 في ضوء المصادر الإيرانية التي أولت هذا الموضوع أهمية كبيرة لأسباب عدة منها الجوار الجغرافي الذي يربط الدولتين، ووجود إيرانيين داخل روسيا اثر فقدان إيران لأراضٍ واسعة في مراحل تاريخية مختلفة، لاسيما في النصف الأول من القرن التاسع عشر، فضلاً عن الأطماع الروسية والسوفيتية في إيران، لذلك وضعت الأخيرة في ستراتيجيتها وسعت من أجل فرض هيمنتها عليها .

This research aims to investigating and analyzing the position of Iran as for as the caesarean . Russian and soviet strategies since 1900 till the end of world war|| . in 1945 in the light of the Iranian sources which give this matter a special importance for many reasons like the geographical neighborhood and the peace existence of some Iranians in Russia due to the loss of a very wide areas in different periods of time ,especially in the first half of nineteenth century .Besides , the influence of Russia and soviet or Iran. This is the reason why the soviet had Iran part of its strategy and tried to control it .

(*) Dr- Ism@yahoo. Com

المقدمة :

حظيت إيران بأهمية كبيرة في الستراتيجيتين الروسية والسوفيتية منذ عهد بطرس الأول (1682– 1725) أو بطرس الكبير كما يسمى في بعض الأحيان الذي طالما كان يؤكد على ان روسيا إذا ما أرادت ان تتطور بشكل طبيعي فلابد لها أن تمتلك منفذاً على البحر، أو أن تصل إلى المياه الدافئة في الخليج العربي، فكان أول قيصر روسي يوجه أنظار بلاده نحو بحر قزوين، البحر الدافئ الثاني في الجنوب الذي فكر في ربطه بأواسط روسيا،وأراد تحويله الى منفذ تجاري نشط مع ايران والخليج العربي. ولم يكن القياصرة الروس الذين جاؤوا بعده أقل اندفاعاً منه في محاولة إخضاع إيران للنفوذ والهيمنة الروسية حتى مفتتح القرن العشرين، الأمر الذي يؤشر لنا مدى أهمية إيران بالنسبة للستراتيجية الروسية .

لم يؤد تغيير النظام الجديد في روسيا، ومجيء نظام جديد فيها عام 1917 وانتهاء صراعاتها الداخلية بعد خمس سنوات الى تغيير توجهاتها نحو ايران لان الموقع الجغرافي للأخيرة، وما تمخض عنه هذا الواقع من حدود دولية تعد أطول حدود مشتركة في العالم ما بين دولتين متجاورتين أضفى على هذا الواقع سمات عديدة جعل العلاقات بين السوفيت والإيرانيين تأخذ طابعاً خاصاً يستلزم دراسته دراسة علمية، فضلاً عن ذلك فان قيام الاتحاد السوفيتي على مقربة من الحدود الإيرانية شجع الحركات اليسارية الايرانية على ان تتحرك في إيران، وتحاول اقامة أنظمة مدعومة من السوفيت مستغلة ضعف الأنظمة السياسية التي حكمت إيران مثل النظام القاجاري أو بهلوي أبان الحرب العالمية الثانية وما بعدها اثر احتلال القوات الروسية للأراضي الإيرانية .

يهدف هذا البحث الى تتبع موقع إيران في الستراتيجيتين الروسية والسوفيتية خلال المدة من 1900 حتى نهاية الحرب العالمية الثانية عام 1945 في ضوء المصادر الإيرانية التي أولت هذا الموضوع أهمية كبيرة بحكم الجوار الجغرافي الذي يربط البلدين، ووجود أقليات إيرانية داخل روسيا اثر اقتطاع مناطق إيرانية عبر مراحل تاريخية مختلفة وما نجم عنها من توقيع معاهدات جائرة بين الروس والإيرانيين مثل معاهدتي (كلستان) عام 1813 و (تركمانجاي) عام 1828.

تم اختيار عام 1900 لأنها تمثل مفتتح القرن العشرين، ولان النفوذ الروسي ازداد داخل إيران، لاسيما النفوذ الاقتصادي الذي بات واحداً من أقوى أشكال الهيمنة الروسية في ايران، وازدياد التنافس حول إيران من الدول الكبرى، وفي مقدمتها بريطانيا، فضلاً عن ذلك فان هذه المدة شهدت فرض روسيا القيصرية نفوذها الكبير على البلاط الإيراني وعلى الأجنحة السياسية التقليدية في طهران، ومختلف المرافق الاقتصادية الحيوية في كل إيران. أما سبب اختيار عام 1945 نهاية للبحث فيعود الى انه يمثل انتهاء الحرب العالمية الثانية، وما نجم عنها من احتلال سوفيتي–

بريطاني للأراضي الايرانية بعد إسقاط نظام رضا شاه بهلوي ومجيء ابنه إلى الحكم، واستمرار هذا الاحتلال الى ما بعد الحرب، واستفادة السوفيت من ذلك في فرض هيمنتهم السياسية والعسكرية والاقتصادية على المناطق الشمالية من إيران .

تألف البحث من مقدمة ومبحثان وخاتمة . ركز المبحث الأول على بداية العلاقات والاتصالات الروسية مع ايران، في حين تناول المبحث الثاني على السياسة الاقتصادية للاتحاد السوفيتي في ايران. وتوصلت الخاتمة الى مجموعة من النتائج التي ثبتت في نهاية البحث .

اعتمد البحث بالدرجة الأساس على المصادر الإيرانية المعاصرة التي أعطت الموضوع أهمية قصوى ادراكاً منها ان الروس وبعدهم السوفيت تدخلوا كثيراً في الشأن الإيراني، وسعوا على مدى سنوات طويلة من أجل ربط ايران بستراتيجيتهم البعيدة المدى، وغالباً ما حاول الساسة الروس فرض هيمنتهم على ايران مستغلين ضعف الأنظمة الايرانية خلال مدة البحث، لاسيما النظام القاجاري الذي تحول الى بيدق بيد القياصرة الروس خلال المدة من 1900 حتى 1925.

المبحث الأول

بدأ العلاقات والاتصالات مع إيران[1]

أبدت روسيا القيصرية خلال القرن الثامن عشر الميلادي اهتماماً واسعاً بالمناطق الجنوبية القصوى على حدود دولتها، وكانت إيران ضمن إطار هذا الاهتمام ويعود هذا التوجه إلى تاريخ بعيد لكن في عهد بطرس الكبير (1682م) بدأ يؤكد على إيجاد الطرق للوصول إلى المياه الدافئة الجنوبية[2]. وأول اتصال مباشر مع إيران كان في عهد الكسي ميخائيل ويج. أما في عهد بطرس أصبحت هذه الاتصالات أكثر توسعاً. ولم تكن الاتصالات مع إيران فقط، بل كانت روسيا تسعى للاتصال مع اغلب دول العالم وساهمت سياسة بطرس الكبير في تقوية كل العلاقات مع دول العالم، ففي عام 1708م بعث بطرس الكبير السياسي إسرائيل اوري (I.Ori) سفيراً الى ايران[3] وكان هذا من الأرمن الروس وكانت حجة ارساله هو حماية الأقلية الارمنية المسيحية في النواحي الشمالية الغربية لإيران[4].

في عام 1716م أرسل بطرس الكبير ممثلاً عنه هو ارتمي ولينسكي (Artemi p. volinski) للحصول على موافقة الشاه سلطان حسين الصفوي، في تأسيس قنصلية روسية داخل ايران[5].

بعد سقوط أصفهان بأيدي الأفغان عام 1722 وكذلك مدينة رشت ولأجل التخلص من هذا الاحتلال طلب حاكم كيلان المساعدة من روسيا وبعد مفاوضات مع الجانب الروسي دخلت القوات الروسية إيران بقيادة شيبوف (Shipow) إلى ميناء انزلي وسرعان ما سيطرت على كيلان وبقيت القوات الروسية في كركان وشمال إيران وحتى استر آباد وباقي مدن ايران لمدة طويلة حتى ظهور نادر شاه عام 1732 وموت بطرس الكبير الذي أدى الى تغيير السياسة الروسية كلياً وحتى الاتفاقية المبرمة عام 1724م والتي تؤيد تواجد القوات الروسية في ايران لم تستطع روسيا الحصول على مقاصدها[6].

وقعت إيران في كانون الثاني من عام 1732م اتفاقية مع الجانب الروسي كان ممثل إيران فيها الميرزا محمد ابراهيم وعن الجانب الروسي شافيروف تضمنت الاتفاقية تعهد روسيا بإخلاء المناطق الشمالية وان تكون التجارة حرة بين البلدين وان يتم تبادل السفراء فيما بينهما[7].

وطبقاً لمعاهدة كنجه عام 1735م منع نادر شاه الروس من العمل داخل ايران ودخولهم الى مدينة باكو ودربند[8].

وفي عصر كريم خان الزند ارسلت روسيا عام 1778م سفيراً الى ايران وكان الهدف من إرسال هذا السفير هو التعاون بين ايران وروسيا ضد الدولة العثمانية، إلا أن هذا التعاون لم يطبق بسبب موت الشاه كريم خان الزند[9].

وفي عهد كاترين الثانية عام 1781م استقر اسطول بحري روسي بقيادة الجنرال وئينووبج (woinovich) في ميناء مازندران وطالب ببناء مؤسسات عسكرية روسية هناك، الا ان هذا الطلب واجه معارضة شديدة من قبل اغا محمد خان (1796– 1797) الذي كان في تلك المنطقة في صيف عام 1796م، فهاجمت فرقة عسكرية روسية بقيادة والرين سوبوف (valevien subov) نواحي دربند وباكو وطاش ثم انحدرت نحو المناطق الجنوبية واستقرت في صحراء مغان، وفي عام 1796م طالبت الحكومة الايرانية بسحب القوات الروسية من ايران، لكن مقتل اغا محمد خان قاجار عام 1797 ووصول فتح علي شاه قاجار (1797– 1834) الى السلطة جعل روسيا تحصل على مواقع مهمة في ايران[10].

حاولت روسيا استقطاع اجزاء من الأراضي الايرانية وضمها الى روسيا، وتمكن القائد الروسي سيسانف (Sissian off) من ضم جورجيا الى روسيا وتمكن من فعل ذلك[11]. وبعد انتقال السلطة الى حاكم جديد في روسيا ومجيء الكسندر الاول (1801 – 1825) سيطرت روسيا على جورجيا بالكامل وكذلك اصدر الكسندر الأول أوامره الى سيسيانف بأستقطاع المزيد من الأراضي الإيرانية وضمها لروسيا[12].

في هذه الأثناء تقرب فتح علي شاه من فرنسا مما دفع نابليون للاعتراف بسيادة ايران على جورجيا عام 1807م، لكن خسارة روسيا في معركة (تليست) مع فرنسا وعقد اتفاقية (تليست) في السابع من كانون الثاني عام 1807[13]، دفع روسيا لمهاجمة القفقاس وقامت بحملة شديدة على منطقة اصلاندوز في عام 1812 وفي السنة الثانية اجبرت روسيا ايران على عقد اتفاقية كلستان في قرا باغ[14].

قامت روسيا في عام 1825م باحتلال كوك جاي، فزاد هذا الاحتلال الامر تعقيداً، فضلاً عن ذلك قامت قوات روسية اخرى بقيادة الجنرال باسكيويج (C.paskiewitch) بالسيطرة على مناطق اخرى[15]. وفي عام 1827 سيطرت روسيا على اراضٍ ايرانية اخرى من خلال عقد معاهدة تركمانجاي عام 1828[16].

كانت بريطانيا تراقب تحديد الحدود الشرقية لايران عن كثب لأن لها مصالح في تلك المناطق وازدياد نفوذها وخاصة في بلوشستان وأفغانستان[17]، فعقدت معاهدة لندن (بطرسبورغ عام 1885) سراً بينها وبين روسيا حول ايران، وفي شباط عام 1890م وصل الى طهران كل من بوريس بولياكف (B.poliakov)[18] ولف رافائيلوويج (Lev Rafailovitch) من اجل التوافق

حول امتياز سكك الحديد بين ايران وروسيا، وسعى المندوبان للحصول على امتيازات في ايران، لكنهما فشلا في الحصول على الامتيازات لان ايران وفقاً لمعاهدة 1890 لا يحق لها إعطاء أي امتيازات للدول الاجنبية في سكك الحديد[19].

علم بولياكف واتباعه بأن ليس بإمكانهم الحصول على تلك الامتيازات بدون تدخل روسيا في الموضوع، لذا سعوا جاهدين لكسب الموافقة من (سان بطرسبورغ) لكن تلك المساعي فشلت، إلا أن بولياكف واتباعه لم ييأسوا وصمموا على تأسيس شركة استقراضية سميت بـ(جمعية استقراض ايران)، وفي نيسان 1892 وافقت الحكومة الايرنية على تأسيس الشركة، فأسسوا بنكاً عرف باســـم (بنك الاستقراض الرهني الروسي)[20].

وبعد نيله الموافقة من الحكومة الايرانية حصل بولياكييف، على امتياز انحصار تصفية النفط والتأمين والحمل والنقل عام 1891م، وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين نال الروس امتيازات كبيرة أخرى في ايران[21].

في اوائل القرن العشرين تطورت المنافسة بين روسيا وبريطانيا في مستعمراتها في افريقيا، وأدى حصول بريطانيا على امتيازات في الهند الى دفع روسيا لكي توجه انظارها بشكل اكبر نحو إيران، لذا قرر وزير الخارجية الروسي الكونت ميخائيل نيكولافيج مورابيف[22] جعل إيران تحت أنظار الروس بشكل أدق والتقليل من النفوذ البريطاني في إيران وهذا ما دفعهم للتنافس على الاخيرة[23]. ان قيام المشروطية الايرانية عام 1906 واحتمال حدوث تغيرات يمكنها ان تقلل من سلطات الدول الكبرى في ايران، دفع الدولتان الى تغيير بعثاتهم الدبلوماسية في ايران، فالوزير الروسي اشباير تم استدعائه الى روسيا وأرسل هارتويك محله[24]، ومن جانبها ارسلت بريطانيا سيرنك برايس بصفة (وزير مفوض)، وبذل الأخير مساع جادة للتنسيق مع السفارة الروسية في طهران، وهذا التنسيق لم يحدث أي تغيير لان الإيرانيين كانوا ينظرون الى هذه المسألة بعين عدم الرضا، وكان من نتائج هذا التنسيق والتعاون وضع المانيا اقدامها وتضاعفت قدرتها في البلقان والدولة العثمانية[25].

في 31/آب/ 1907م وقعت روسيا مع بريطانيا ثلاث اتفاقيات وبموجب هذه الاتفاقيات تم 1- اعتبار افغانستان منطقة نفوذ لروسيا 2- اعتبار التبت من مناطق النفوذ الروسي 3- تقسيم دولة ايران الى ثلاث مناطق نفوذ هي :

أ. المنطقة الشمالية من قصر شيرين الى اصفهان ويزد وتم وضعها تحت النفوذ الروسي.

ب. المنطقة الجنوبية من بندر عباس الى كرمان وحدود افغانستان وتم وضعها تحت النفوذ البريطاني.

ج. المنطقة المركزية وهي منطقة محايدة وتعود الى الحكومة الايرانية[26].

ان ضرب مجلس النواب بالمدفعية عام 1908م بأمر من محمد علي شاه وهروب الشاه من ايران في العام التالي ووصول احمد شاه الى الحكم عام 1909 واشتداد الازمات الداخلية وتدخل دول الشرق والغرب وعدم مقدرة الشاه على الصمود امام تلك الازمات وسوء الوضع الاقتصادي أدى الى عقد معاهدة بتسدام[27] في آب عام1911م بين روسيا والمانيا ومع ذلك لم يتمكنا من حل الازمة الايرانية، بل على العكس من ذلك فقد مهدت الطريق لألمانيا لدخول ايران[28].

بالمقابل فأن الاصلاحات التي قام بها رجل الاقتصاد شوشتر الامريكي في ايران كانت ذريعة لروسيا للتدخل مرة اخرى في شؤون ايران وطالبت بخروج هيئاتها من البلاد [29]، ولم يقبل الروس المقاومة التي أججها الشعب الايراني ضدهم مما دفعهم الى استخدام القوة والقسوة ضده، فقامت روسيا في عام 1912 بقصف الحرم الرضوي المقدس بالمدفعية، وقبل بداية الحرب العالمية الاولى عام 1914 قررت روسيا الشروع في بناء خط سكك حديد (جلفا – تبريز)، وأنتهى العمل به في العام التالي مما سهل على الروس الانتقال الى اذربيجان بسهولة[30].

دخلت في عام 1914م قوات روسية كبيرة الى المناطق الشمالية الغربية لايران على الرغم من اعلان ايران حيادها في الحرب، وتمكنت هذه القوات من السيطرة على مدن تبريز ومهاباد وسواحل بحيرة ارومية وفي الوقت عينه دخلت القوات العثمانية في الاراضي الايرانية بحجة دخول الروس الى المناطق المتاخمة

لحدودهم وصارت قوات الطرفين تعبث في المدن والقرى سلباً ونهباً[31].

أما القوات البريطانية فقد انزلوا قوات كبيرة في البحرين وآخرجوا العثمانيين منها وسيطروا على البصرة في العشرين من آذار عام 1915[32].

تشاورت بريطانيا مع الحكومة الروسية وأبلغتها بأنها سوف تسيطر على المنطقة الايرانية المحايدة بسبب سيطرة القوات الروسية على القسطنطينية فوافقت روسيا على ذلك، الا ان التوافق البريطاني الروسي لم يدم اكثر من ثلاثة اعوام[33].

ان خسارة القوات البريطانية امام القوات العثمانية عام 1916م في معركة الكوت مهدت الطريق لألمانيا لدخول ايران، فدفعت هذه الخسارة بريطانيا للتقرب الى الروس في المناطق الغربية لايران[34].

بالمقابل أدت استقالة نيقولا الثاني قيصر روسيا وأمتناع اخيه ميشيل من تولي الحكم وخسارة القوات الروسية في غرب ايران وتعاظم انشطة الحركات الداخلية في روسيا جعلت البلاد في دوامة ازمات سياسية. ومع اندلاع ثورة 1917م وتشكيل اتحاد الجمهوريات السوفيتية وأنتهاء الحرب العالمية الاولى، حدث تغيير عام في السياسة الروسية في الشرق الاوسط وتزامن ذلك مع

الغاء كل المعاهدات والاتفاقيات التي ابرمتها دولة القياصرة وسعت الدولة الجديدة في روسيا لاقامة علاقات جديدة وروابط دبلوماسية مع كل دول العالم[35].

استغلت بريطانيا ما حدث في روسيا، فسعت لاشغال المناطق التي اخلتها روسيا وتوسيع رقعة سيطرتها على ايران[36]. أما روسيا فأنها سعت الى تحسين علاقاتها الدبلوماسية مع ايران واعترفت رسمياً بالسفير الايراني في مدينة بتروغراد كما غيرت سفير القيصر في ايران (فوت اتر) بسفير جديد اسمه (نيكولا كارل) الذي وصل الى طهران عام 1918م حاملاً معه رسالة من الحكومة السوفيتية الى ايران أكدت فيها عمق الروابط السياسية والتجارية المتبادلة وارسلت وفداً سياسياً عالي المستوى الى ايران برئاسة (كولو ميتزوف) ولم يتم استقبال الوفد من قبل وثوق الدولة رئيس الوزراء الايراني لعدم اعترافه برسمية الوفد السوفيتي، وهوجم الوفد من قبل السفير السابق (فون اتر) فعاد الوفد الى موسكو بصعوبة[37].

عاد كوميتزف في عام 1919م الى طهران حاملاً معه اوراق اعتماده موقعة من قبل الزعيم لينين الذي خوله عقد معاهدة ايران، الا ان التحرك البريطاني وتحريضه للحكومة الايرانية، دفع الاخيرة لعدم الاعتراف برسمية الوفد الذي ترأسه كوميتزف واثناء وجوده حدثت مصادمات قتل خلالها كوميتزف فتسببت هذه الحادثة في قطع العلاقات الرسمية بين ايران والسوفيت، ولم تعد العلاقة بين ايران والسوفيت رسمياً الا في مايس 1920[38]، وفي هذا العام تمكنت القوات الروسية من اخراج القوات البريطانية من القفقاس وتأسيس جمهورية اذربيجان السوفيتية في شمال ايران.

أدى قيام جمهورية اذربيجان الموالية للسوفيت في اتخاذ بريطانيا والسوفيت سياسة معتدلة بين الدولتين، ونتيجة لذلك سقطت حكومة وثوق الدولة المنحازة لبريطانيا والتي وقعت معاهدتان احداهما في عام 1919 مع بريطانيا والاخرى مع الروس تقرر فيها اعادة كل الاموال التي اجبرت ايران على دفعها للروس[39]. كان لهذه الاتفاقية جوانب اعلامية لان السوفيت عقدوا الاتفاقية نفسها مع افغانستان في الثامن والعشرين من شباط عام 1921 ومع تركيا في السادس عشر من آذار عام 1921 وهي تتشابه فيما بينها ، وخلال هذه الاعوام الماضية كانت سياسة ايران في تغير مستمر وعدم ثبات. وبسبب انقلاب شباط 1921م اشرفت الدولة القاجارية على الزوال، وتم انتقال السلطة الى رضا خان عام 1925م التي صادف وصوله للحكم انتهاء مدة المعاهدة المبرمة في عام 1879م والذي أعطى فيها ناصرالدين شاه التفويض الى لينازوف للاستفادة من الثروة السمكية في الشمال والتي لم يتم تمديدها من قبل إيران، مما أدى الى توتر العلاقات مع السوفيت حتى عام 1926م[40]

المبحث الثاني

السياسة الاقتصادية للاتحاد السوفيتي في إيران

استندت العلاقات السياسية للدول العظمى مع دول العالم الثالث في جوانب عدة على المسألة الاقتصادية، وضمن هذا الاطار سعى الاتحاد السوفيتي إلى هدفين تمثل الأول: بالهيمنة على أسواق الشرق الأوسط وضمانها لنفسها، وثانياً: تقليل نفوذ الدول الرأسمالية في المنطقة، لذلك اضطرت روسيا السوفيتية لتنفيذ هذه الأهداف قبل الحرب العالمية الأولى وجعل ثلثين من التجارة الخارجية الإيرانية من حصتها[41]، الا أن الأحداث والتغيرات السياسية التي طرأت في السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الأولى على التجارة والسوق الاقتصادية الايرانية وخاصة بعد معاهدة 1919م ساعدت الروس على الحصول بعض الامتيازات من بريطانيا، الا ان روسيا كانت تتعرض الى بعض المشاكل الاقتصادية بسبب الصراعات الداخلية وفي النهاية بذلت مساعيها لكي تجعل أنظارها إلى السواحل الشمالية لإيران نظراً لجوار الدولتين والامتيازات السابقة لها في إيران مثل بيع النفط السوفيتي في المنطقة ومعرفة أهالي تلك المنطقة بالروس، لذا سعت روسيا لربط إيران معها بمعاهدة شاملة سعياً منها لتحقيق أهدافها التوسعية في المنطقة بشكل كبير[42].

أصبحت التجارة الخارجية السوفيتية عام 1920م واسعة، فقد أصبحت التجارة السوفيتية في الشرق الأوسط والشرق الأقصى كما يلي[43]: آ. زيادة التبادل التجاري للصناعات الروسية وتنوع المواد الخام في الشرق ب. السماح ببيع المواد المنتجة في بلدان الشرق في اسواق الاتحاد السوفيتي.ج. عدم إصرار الاتحاد السوفيتي على توازن التجارة مع دول الشرق د. توسع الشركات المختلطة الشرقية الروسية. هـ. بيع المواد الروسية في الأسواق الشرقية بسعر ارخص، ونتيجة لهذه الأهداف التجارية أبرمت اتفاقية في تموز 1923[44]، حول التلغراف والبريد ووسائل الحمل والنقل بين الدبلوماسي الروسي(كارخان) ونظيره الايراني (تقي زاده) واثرها تم توقيع معاهدة 1924م بين البلدين[45].

عقدت اتفاقية تجارية ثانية عام 1927م بين ايران والاتحاد السوفيتي كانت في حقيقتها مكملة لمعاهدة 1923م ثم اضيفت لها امتيازات اخرى مثل صيد السمك والاستفادة من بحر الخزر (قزوين) والاستفادة المستمرة من مؤسسات النقل البحري في ميناء انزلي فمنح السوفيت كل هذه الامتيازات في ايران[46] أما في اعوام ما قبل الحرب العالمية الثانية فقد بدأت إيران تميل إلى جانب ألمانيا وصار لألمانيا المقام الأول في تجارة إيران ومع بدء الحرب العالمية الثانية انتهت التجارة السوفيتية مع إيران[47].

كان احتلال إيران من قبل القوات السوفيتية والبريطانية في الخامس والعشرين من آب 1941 حركة منسقة بين الطرفين، وكانت حجة الدولتين في احتلال ايران هو تأزم الموقف في منطقة البحر المتوسط وشمال أفريقيا وعدم احترام انحياز إيران الى الالمان في تلك الحرب[48].

بالمقابل أدى قيام حركة رشيد عالي الكيلاني في العراق عام 1941م والذي كان مسنوداً من حكومة فيشي الفرنسية الموالية لالمانيا بالقوات الجوية جعل بريطانيا تلفت انظارها بكل جدية الى المناطق النفطية، لذلك سعت بريطانيا نحو تقليل النفوذ الألماني في سوريا وبلاد ما بين النهرين وكان لإيران الأهمية القصوى من حيث إرسال الاعتدة والتجهيزات العسكرية إلى السوفيت وللسكك الحديدية التي تربط كل أرجاء إيران[49].

دخلت إيران إعداد هائلة من الموظفين الألمان دون الاعتراف بحيادية إيران في الحرب، فطلبت روسيا من إيران في حزيران 1941إخراج الموظفين الألمان من البلاد بحجة أنهم يشكلون خطراً على الاتحاد السوفيتي وطبقاً للمادة الخامسة والسادسة من معاهدة 1921 انزل الاتحاد السوفيتي قواته في إيران فاتخذت بريطانيا ذلك ذريعة لأنزال قواتها في جنوب ايران ايضاً وهكذا تمت السيطرة على كامل إيران من قبل تلك القوتين[50].

كانت المناطق الغربية من إيران مكاناً للسلب والنهب للقوات التركية والمأمورين الالمان وكذلك للروس والبريطانيين في الوقت الذي كانت سياسة إيران الداخلية مرهونة بأيدي تلك القوى وتحت التأثير المباشر لسياساتها في المناطق المحتلة، فالمناطق الغربية مثل اورمية كانت تحت السيطرة الألمانية وكانت تخالف الحكومة المركزية والمناطق الجنوبية من ايران وكانت تؤيد المانيا وتدافع عن السياسة الألمانية في إيران[51]، في الوقت الذي كانت فيه الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والتجارية والزراعية تحت تأثير الأوضاع السياسية في إيران، كما ان التضخم المالي وقلة المواد الغذائية والقحط الشديد كانت من جملة المشاكل التي أنهكت الدولة الايرانية وشمل ذلك كل ارجاء إيران[52].

لقد منعت القوات السوفيتية في شمال إيران إرسال المواد الغذائية الى المناطق الأخرى علماً بأن المنطقة الشمالية كانت تمون اغلب مناطق إيران بالغذاء، فشمل القحط اغلب محافظات البلاد، فماتت أعداد كبيرة من الايرانيين بسبب الجوع[53]، وعندما دخلت القوات المحتلة طهران في السادس عشر من أيلول 1941 أعلن رضا شاه استقالته من منصبه في السابع عشر من أيلول من العام نفسه وجلس ولده محمد رضا بهلوي مكانه[54].

لم يكن تغيير قيادة الدولة في هذا الظرف حلاً للبلاد لأن مصير إيران أصبح بأيدي قوات الاحتلال وخاصة بعد التدخل الأمريكي لصالح الحلفاء ضد المانيا المتمركزة قواتها في أطراف

(ستالين غراد) السوفيتية، واعطى هذا التدخل الزخم الكافي لقوات الحلفاء وجرى ذلك في الأراضي الإيرانية مما زاد في مأساة الشعب الإيراني[55].

وجرت على الاراضي الايرانية ايضاً توافقات الدول الكبرى ومن هذه التوافقات ما جرى بين الدول الثلاث بريطانيا والاتحاد السوفيتي وايران في عهد وزير الخارجية الإيراني علي سهيلي والتي أبرمت في التاسع والعشرين من كانون الثاني 1942م وبمشاركة المندوب السوفيتي (اندرومج اسميرنوف) والمندوب البريطاني (ويليام بولارد) الوزير المفوض لبريطانيا وقد وقع السفير الإيراني على هذا التوافق المكون من تسعة مواد[56]. تعهدت بريطانيا والاتحاد السوفيتي بأحترام كل أراضي إيران واستقلالها والدفاع عنها في حالة تعرضها لهجوم ألماني، وكذلك عدم اتخاذ أي اجراء يضر باستقلال إيران، وأن تقطع إيران علاقاتها مع حكومة (فيشي) في فرنسا واليابان في عام 1942، وإعلان الحرب على ألمانيا، الأمر الذي مهد الطريق لبريطانيا والولايات المتحدة والاتحاد السوفيت للاستفادة أكثر من إيران وقد أعلن ممثلو الدول الثلاث ذلك رسمياً في مؤتمر طهران عام 1943[57]، ففي هذا المؤتمر ومن اجل التنسيق التام بين قوات الدول الثلاث الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفيتي التقى الرؤساء (ستالين) رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي و(روز فلت) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية و(تشرشل) رئيس وزراء بريطانيا واجتمعوا في طهران وأعلنوا نتائج الاجتماع في الاول من كانون الأول عام 1943 حول إيران، أما النتائج التي خرجوا بها فهي ضرورة طرد الألمان من الأراضي السوفيتية وأوربا الشرقية وتشكيل جبهة مشتركة من قوات الحلفاء، مما تسبب في انسحاب الألمان من فرنسا وبلجيكا وايطاليا وأوربا الشرقية[58].

حاول الاتحاد السوفيتي استغلال ظروف الحرب العالمية الثانية للحصول على امتيازات نفطية في المناطق الشمالية من ايران بعد احتلال قواته لها، الأمر الذي رفضه رئيس الوزراء الايراني محمد ساعد عام 1944، فشنت الصحف السوفيتية حملة عنيفة ضده متهمة اياه بتخريب العلاقات الايرانية– السوفيتية[59].

وبعد استقالة محمد ساعد شكل مرتضى قلي خان وزارته الجديدة، فاكد في منهاجها ضرورة عدم اعطاء امتيازات نفطية لاي دولة من دول العالم حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية، وتزامن ذلك مع تقديم الدكتور محمد مصدق[60] لائحة الى المجلس النيابي الايراني تضمنت عدم التفاوض مع أي دولة حول الاستثمارات النفطية في ايران حتى تضع الحرب اوزارها، الأمر الذي رحبت به الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وفرنسا، في حين لم يكن الاتحاد السوفيتي مرتاحاً من هذه اللائحة التي وضعت مساعي شركاته النفطية معلقة ما بين مطرقة الحكومة الايرانية وسندان الوعود غير المضمونة، لتدخل تلك المسألة في اطار المساومات والمباحثات في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية التي انتهت فعلياً عام 1945.

الخاتمة :

دللت المعلومات الواردة في البحث ان إيران ظلت محوراً مهماً من محاور الستراتيجيتين الروسية من جهة، والسوفيتية من جهة أخرى بحكم عوامل متعددة كان من بينها حدودها التي تصل إلى (2500)كم التي تربطها بجارتها الروسية، فضلاً عن ذلك فان إيران شكلت على مدى التاريخ الحديث والمعاصر أطول خط يربط الروس بصورة مباشرة بالشرق الأوسط الذي يعد قلب العالم الحيوي، وشريان الملاحة الدولية، ومرتكز التجارة الدولية .

اتجه الروس في بداية توجهاتهم نحو إيران من أجل الهيمنة عليها تحت أغطية اقتصادية بحتة، إلا أنهم سرعان ما حولوا هذه الأغطية إلى توجهات سياسية استهدفت فرض سيطرتهم على البلاط الإيراني وعلى القوى السياسية المؤثرة فيه، فأصبح هذا البلاط مرتهناً بمصالح اقتصادية وسياسية مع البلاط القيصري الروسي. ومع مفتتح القرن العشرين أصبح الروس أكثر القوى الكبرى المهيمنة على الساحتين السياسية والاقتصادية والعسكرية الايرانية، ويكفي ان نذكر ان فرقة (القوزاق) الإيرانية تشكلت على غرار فرقة (القوزاق) الروسية، وكان الضباط المشرفون عليها في إيران هم من الضباط الروس الذين أسهموا بدور مباشر في اجهاض الثورة الدستورية في البلاد خلال السنوات 1905 – 1911 وحتى سقوط النظام القاجاري عام 1925.

لم يتغير الأمر كثيراً حينما وصل الشيوعيون الى الحكم في روسيا وتأسيسهم للاتحاد السوفيتي، فقد سعى هؤلاء الحكام الجدد الى بناء علاقات سياسية واقتصادية مع نظام رضا شاه، الا ان الاخير لم يكن راغباً في منحهم امتيازات سياسية واقتصادية في بلاده لاسباب شخصية تتعلق بكرهه للشيوعية والشيوعيين من جهة، ولرغبته في ابعاد النفوذ السوفيتي عن بلاده، ومنعها من ان تتحول الى حضن السوفيت البارد من جهة ثانية، الأمر الذي جعل السوفيت يتحينون الفرصة تلو الأخرى من أجل إزاحته عن السلطة، وهو ما تم لهم فعلاً في المرحلة الأولى من الحرب العالمية الثانية عندما تحججوا بوجود أعداد كبيرة من العملاء الالمان داخل الأراضي الإيرانية، وعدم التزام ايران بحيادها الذي أعلنته في بداية الحرب العالمية الثانية، فتمت إزاحة الشاه رضا بهلوي، ليأتي ابنه محمد بدلاً منه.

ولاهمية ايران في الستراتيجية السوفيتية، ورغبة من قادة الكرملين فان الاتحاد السوفيتي حرص على عقد مؤتمر طهران عام 1943 في ايران ليشعر حلفاءه البريطانيين والامريكان بان ايران تمثل حلقة مهمة من حلقات ستراتيجته البعيدة المدى، ورمى بكل ثقله من أجل استغلال وجوده العسكري في المناطق الشمالية من ايران ليفرض على الأخيرة شروطه من أجل استثمار النفط الايراني والحصول على امتيازات أخرى، ودعم الحركات السياسية والاحزاب الموالية له، لاسيما الحزب الشيوعي الايراني المعروف باسم (تودة) من أجل اقامة حكومات وجمهوريات في اذربيجان الأذرية وكردستان الايرانية .

الهوامش :

(1) أصبحت ايران الاسم الرسمي لبلاد فارس منذ 15 آذار 1935م . بعد ان اتخذ الشاه رضا بهلوي قراراً بذلك. ينظر: دونالدولبر، ايران ماضيها وحاضرها، ترجمة: عبدالمنعم محمد حسين، القاهرة ، 1958،ص1.

(2) للمزيد يراجع:

N.S. Fatemi : Diplomatic History of Persia 1919 – 1923, New york, 1952, p. 309.

(3) مريم مير احمدي، دين ومذهب در عصر صفوي، تهران، أمير كبير، 1363، ص 102.

(4) كانت لاسرائيل اهداف تجارية ايضاً وأطلع قبل سفره الى ايران البابا وملك النمسا بأن له اهدافاً اخرى يحاول التفاوض عليها وبعد وصوله الى ايران اشتغل بالتجارة في اصفهان لمدة طويلة ومات في استراخان. للمزيد من المعلومات ينظر : كروسينسكي، سفر نامة كروسينسكي، ترجمة عبدالرزاق دنبلي، تصحيح مريم مير احمدي، تهران، 1363، ص36.

(5) استطاعت روسيا بعد حصولها على الحقوق الكمركية تأسيس قنصلية في ايران. وبعد سقوط اصفهان نصب طهماسب نفسه شاهاً لإيران عام 1722م وارسل رسولاً له اسمه اسماعيل بيك لمقابلة بطرس الكبير وكان طلبه مساعدة روسيا له مقابل تخليه عن المحافظات الشمالية الغربية والشمالية لايران ولم يتم تنفيذ هذه الاتفاقية. ينظر: علي أحمدي، علاقات ايران وروسيا، تهران، 1380ش،ص14.

(6) تضمنت الاتفاقية تخلي ايران عن المحافظات الشمالية الغربية والشمالية لروسيا مقابل تقديم بطرس مساعدة لايران. مريم مير احمدي، تحقيقات في تاريخ ايران المعاصر 1900 – 1950، مشهد ، 1378، ص 44.

(7) علي أحمدي، المصدر السابق،ص15.

(8) سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصره، ج2، تهران ، 1344، ص 185.

(9) المصدر نفسه ، ص 185– 186.

(10) مريم مير احمدي، تحقيقات في تاريخ ايران، ص 44.

(11) المصدر نفسه ، ص 45.

(12) خليل طهراني ،

(13) اعطت هذه الاتفاقية فرصة كبيرة لروسيا للتدخل في ايران مما دفع بالقوات الروسية الى الهجوم على مناطق اصلاندوز ومناطق اخرى واحتلالها للمزيد. ينظر: علي اصغر شميم، ايران در دورة سلطنت قاجار، تهران، 1342 ش، ص 57–79.

(14) عقدت المعاهدة عام 1813م بين روسيا وايران ومثل ايران فيها ابو الحسن خان شيرازي اما ممثل الجانب الروسي فكان نيكولاي راشيف وضمت روسيا من خلال هذه المعاهدة العديد من المدن الايرانية. ينظر : المصدر نفسه، ص 188–199.

(15) المصدر نفسه ، ص199.

(16) عقدت هذه المعاهدة عام 1828م وحددت المعاهدة نهر اراس الحدود الرسمية بين ايران وروسيا وضمت روسيا من خلالها العديد من المدن . للمزيد ينظر : مريم مير احمدي، تحقيقات في تاريخ ايران 1900– 1950، تهران، 1377ش،ص45.

(17) سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران دوره معاصره، ج2، تهران، د.ت ،ص180.

(18) يوريس هو ابن اخ لازار سولو نوفيج بولياكف اليهودي والذي تمكن من الحصول على ثروة طائلة من سكك الحديد وكان لازار وأخيه صموئيل اصحاب شركات ومؤسسات متعددة في روسيا . المصدر نفسه،ص181.

(19) ان سبب مخالفة ايران لطرحها يعود لمخالفة هنري دراموند ولف من الجانب البريطاني واخباره الشاه بأن أي امتياز يعطى لروسيا يجب ان تعطى بريطانيا مثله. كذلك لا يجوز منح أي امتياز سكك حديد بدون موافقة السفارة البريطانية. وفي عام 1900 تعهدت ايران مرة اخرى خطياً ان لا تعطي هذه الامتيازات لأي دولة .

F.O., 371/1186, From : Tehran, To: F.O., 22/11/1890, p.77.

(20) ان قسماً من امتيازات هذا البنك الذي وقعه الشاه والصدر الاعظم ووزير الامور الخارجية تضمن ان تكون مدة الامتياز (75) سنة أما المادة (2) فتضمنت ان تؤسس الشركة الجديدة جمعية استقراض ايران مجازه بأعطاء أي قرض. أما المادة 7 ان على الشركة منح خزانة ايران عشرة بالمائة أما المادة (8) فجعل الشركة معفية من كل الرسوم والضرائب المفروضة حول هذا الموضوع . ينظر: ذاتية وزارة الامور الخارجية ايران، الصندوق 44، الاضبارة 21، الرقم 15 لعام 1326.

(21) W.litten, persien von der pentation pacifique zum protektarat, Berlin 1920, S. 188.

(22) لقد كان لموراييف وزير خارجية روسيا مع ايران روابط وعلاقات جيدة وخاصة مع امين السلطان والصدر الاعظم ومظفر الدين شاه وهو الذي هيأ الاسباب لمنح روسيا لايران قرضاً واعطت ايران قسم من هذا القرض لبريطانيا كغرامة كانت مفروضة عليها والقرض الثاني كان لمظفر الدين شاه. للمزيد ينظر مريم مير احمدي، تحقيقات في تاريخ ايران 1900 – 1950 ، ص47.

(23) من اجل الاطلاع اكثر حول وجهات نظر روسيا وبريطانيا ومنافعهم في ايران في هذه الفترة. ينظر:
J.C.Hurewitz: Diplomacy in the near and middle East,Vol, Princeton, 1958. p. 132 .

(24) كان لهذا السفير اطلاع واسع على تاريخ ايران، ويجيد اللغة الفارسية اجادة تامة. ينظر: سعيد اصفهاني، سياست روسيا در ايران، تهران، 1328ش، ص95.

(25) عبدالرضا هوشنك مهدوي، تاريخ روابط خارجي ايران، تهران ، 1355 ش، ص 305.

(26) المصدر نفسه .

(27) لمعرفة محتويات المعاهدة ينظر: محمود محمود ، تاريخ روابط سياسي ايران وانكليز در قرن نوز دهم، ج8، طهران ، 1353ش ، ص 2233.

(28) طبقاً لهذه المعاهدة حصلت المانيا على امتياز ربط خط سكك حديد من خانقين الى المحمرة، وهكذا تم ربط ايران بخط برلين – بغداد مع سواحل الخليج العربي . ينظر: المصدر نفسه، ص 2234 وما بعده .

(29) عبدالرضا هو شنك مهدوي، تاريخ روابط خارجي ايران، ص306 .

(30) مريم مير احمدي، دين ومذهب در عصر صفوي، تهران، 1388ش، ص 104.

(31) الن جوفسكي، رقابت روسية وغرب در ايران،ترجمة ا. رائين، تهران، 1342، ص 125.

(32) مهدي مجتهدي، ايران وانكليز، تهران، 1326، ص152.

(33) محمود محمود، تاريخ روابط سياسي ايران وانكليس، ص 2235.

(34) المصدر نفسه .

(35) كروسينسكي، سفر نامة كروسينسكي، ترجمة عبدالرزاق دنيلي، تهران، 1363،ص 67.

(36) مريم مير احمدي، تحقيقات في تاريخ ايران 1900– 1950 ،ص 50.

(37) المصدر نفسه، ص51.

(38) سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصره، ج2، ص 187.

(39) للمزيد من المعلومات حول بنود هذه الاتفاقية ينظر : وزارة الخارجية الايرانية ، تحقيق حاضر، المستند رقم(15)، تهران ،1380ش، ص104.

(40) مريم مير احمدي، تحقيقات في تاريخ ايران 1900–1950،ص51.

(41) عبدالرضا هوشنكي مهدي، تاريخ روابط خارجي ايران ، ص311.

(42) من اجل المزيد من المعلومات عن السياسة الاقتصادية السوفيتية في تلك الاعوام انظر:
V. Conolly: soviet economic policy in the East, London 1933. P. 121.
كذلك م.ع منشور كركاتي، سياسة دولت شورى در ايران، تهران، 1382ش ص125.

(43) S.N. Fisher, The Middle East, New York, 1959 p.491.

(44) خالد الشرقاوي، السياسة الاقتصادية السوفيتية تجاه دول الشرق الأوسط، بيروت، 1998، ص120–121.

(45) في صيف عام 1924 اعلن المندوب السوفيتي في ايران شوميا تسكي عن اسماء المنظمات والشركات السوفيتية الايرانية المشتركة العاملة في ايران وهي :

أ. شركة حمل ونقل (اواطوريان) والتي لها اجازة العمل في كل ارجاء ايران.

ب. شركة برسي سافار– سكر ايران والسوفيت .

ج. شركة برسي نفط ايران واذربيجان

د. الشركة الايرانية السوفيتية للنسيج.

ووصف شوميا تسكي هذه الشركات المختلفة بأنها الطريق الى العمل التجاري المشترك بين الدولتين . ينظر : المصدر نفسه، ص 122–123.

(46) مريم مير احمدي، تحقيقات في تاريخ ايران 1900–1950 ،ص 53.

(47) D. conolly, soviet Economic policy in the Middle East London, 1933, pp. 62- 71;

M. Beloff , The foreign policy of soviet Russia 1929- 1941, Vol 11, 1930 – 1941, London, 1940, p. 205.

(48) عبدالرضا هوشنك مهدوي، تاريخ روابط خارجي ايران،ص385؛ جوزيف .م. ابتون، نكرشي بر تاريخ توين ايران، تجمة آزند، تهران ، 1359، ص154.

(49) ان كميات هائلة من الاسلحة والامدادات الامريكية التي ارسلت الى السوفيت في اواخر عام 1942م حتى نهاية الحرب قد بلغت خمسة ملايين ونصف طن من خلال هذا الطريق من جملتها 000 150 ناقلة اشخاص3500 طائرة منها 1400 طائرة قاذفة قنابل. لقد كانت القيادة الامريكية بقيادة الجنرال دونالد كانلي وكان يقود فيلق قوامه 000 28 جندي في امير اباد كانت مهمتهم حمل ونقل المواد وكانت هذه المنطقة في السابق خارج طهران وكانوا يرسلون العتاد والسلاح والغداء والدواء الى الجهات السوفيتية لهذا لقبوا ايران بجسر النصر. للمزيد من المعلومات ينظر : مريم مير احمدي، تحقيقات في تاريخ ايران 1900 – 1950 ،ص 54.

(50) دخلت روسيا الى ايران بقيادة نوفيكوف في ثلاث ارتال تمكن الرتل الاول من العبور عبر نهر اراس ودخلت ماكو ثم الى خوي ثم تبريز وآروميه، أما الرتل الثاني فدخل الى اسبتارا ثم الى اردبيل وميناء انزلي ثم توجه واحتل رشت ثم استقر في قزوين اما الرتل الثالث فدخل من بندر شاه كركان واستقر في سمنان . اما القوات البريطانية والتي كانت تحت قيادة (وبول) فدخلت ايران ايضاً من ثلاث محاور فدخل الرتل الاول بقيادة كونين الذي احتل المؤسسات النفطية في الاحواز وكرمنشاه اما الرتل الثاني بقيادة ارباتنوت فاحتل المحمرة وعبدان ودخل الرتل الثالث بقيادة آسليم حدود خسروي ثم الى كرمنشاه. ولاجل المزيد من الاطلاع على هذه

الحملات ينظر : داود مؤيد امبني، ا سوم متابيت وبنجم شهر وبر 1320، طهران ، 1325، ص 315؛ عبدالرضا هوشنك مهدوي، تاريخ روابط خارجي ايران، ص 385.

(51) ان قلة المواد الغذائية في طهران وخاصة الخبز في الحرب العالمية الثانية كان لها اسباب من جملتها آ. سيطرة القوات المحتلة على الطرق والسكك الحديدية. ب. عدم قدرة الدولة على بيع المحاصيل الزراعية. ج. الاحتكار. للمزيد ينظر: جوزيف م. ايتون، نكرتي بر ، تاريخ نوين ايران، طهران، 1359ش، ص154

(52) المصدر نفسه ، ص 154–155.

(53) عبدالرضا هوشنك مهدوي، تاريخ روابط خارجي ايران، ص386.

(54) الول ساتن، ايران نو، ترجمة عبدالعظيم صبوري ، طهران، 1324، ص 547.

(55) المصدر نفسه، ص 558، وما بعده .

(56) تعهدت كل من الاتحاد السوفيتي وبريطانيا بأحترام كل اراضي ايران واستقلاله وكذلك يحق للدولتان المذكورتان استخدام كل الوسائل وخاصة طرق سكك الحديد والطرق العامة والمطارات والمؤسسات النفطية والتلغراف والتلفون. للمزيد ينظر: مريم مير احمدي، تحقيقات في تاريخ ايران 1900– 1950،ص 55.

(57) المصدر نفسه ، ص56.

(58) جوزف . م. ابتون، نكرش بر تايخ نوبن ايران، ص156.

(59) الول ساتن، المصدر السابق، ص 67.

(60) للتفصيل عن هذا الموضوع يراجع : محسن نظري، ايران در عهد مصدق، تهران، 1388ش، ص17-25.